الصوم فى التراث الانساني

رمضان فى الأدب المصرى

تسالى رمضانية

اعداد

حاتم عبدالهادى السيد

عضو اتحاد كتاب مصر

بسم الله الرحمن الرحين

" شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيامٍ أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون "

صدق الله العظيم

اهـــــداء

إلى أهالى سيناء الكرام ، وإلى المسلمين فـى كافـة مشـارق الأرض ومغاربهـا ، وإلـى أبـى شاعر سيناء الكبير / **عبدالهادى محمد السيد**

وكل عام وأنتم بخير

حاتم عبدالهادي السيد
عضو اتحاد كتاب مصر

تقديم

شهر رمضان شهر خير وبركة ، فيه يصوم المسلمون ، ويقدموا العبادات والطاعات للمولى عز وجل .

وتحتاج النفس بعد جهد الصيام إلى ترويح اضافى بجانب الترويح الروحى ، لذا كان هذا الكتيب (رمضان فى الأدب المصرى – تسالى رمضانية) للترويح عن الناس أثناء وبعد صومهم ، فهو كتاب فى الأدب من باب النوادر والفكاهات ، كما أنه يمثل عادات وتقاليد المصريين منذ العصر المملوكى وما يفعلونه فى رمضان من أكل للكنافة والقطائف ولعب الأطفال بالفانوس ، وحكاوى المسحراتى ، هذا ولقد صغت كل ذلك بأسلوب محبب للنفس راجيا أن يحوز اعجابكم .

وكل عام وأنتم بخير .

حاتم عبد الهادى السيد

رمضان
فى
الأدب
المصرى

حظى رمضان باهتمام الشعراء العرب ، ما بين مرحب بمقدمه ، ومودع له .

هذا ولم يغفل الشعراء تسجيل مظاهر احتفال المسلمين بهذا الشهر المبارك ، واصفين عادات الناس فيه وسلوكهم ، من تبتل وتهجد وصوم وزكاة وعيادة ، واستقبال الهلال ، وختم القرآن فى ليلة القدر ، ووصف فانوس السحور ، ثم الاستعداد للعيد ، واعداد الكعك والزينات لاستقبال عيد الفطر المبارك ، وسنتخير هنا بعضاً مما قيل فى هذا الشهر المبارك .

يقول أحدهم واصفاً الشهر الكريم ومهنئاً بمجيئه :

أنت فى الناس مثل شهرك

فى الأشهر أو مثل ليلة القدر فيه

نلت فى ذا الصيام ما ترتجيه

ووقاك الله له ما تتقيه

وهذا هبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك يدعو للصيام ويعدد فوائده للصائمين فيقول :

تهن بهذا الصوم ياخير صائر

إلى كل ما يهوى وياخير صائم

ومن صام عن كل الفواحش عمره

فأهون شئ هجره للمطاعم .

كما يقول الأمير تميم بن المعز لدين الله مهنئاً الخليفة العزيز بالله بقدوم هذا الشهر :

ليهنك أن الصوم فرض مؤكد
من الله مفروض على كل مسلم
وانك مفروض المحبة مثله
علينا بحق قلت لا بالتوهم
فهنئته لا من به الله قابل
من الخلق فيه كل نسك مقدم
ولازلت منصوراً على فرض صومه
ومعتصماً بالله من كل محرم

ثم يقول في قصيدة أخرى [1] :

شهر الصيام أجل شهر مقبل
وبه يمحص كل ذنب مثقل

وكذلك أنت أبر من وطئ الحصا

وأجل أبنـاء النبـى المرسـل

يا حجة الرحمن عند عباده

وشهابه فى كل أمر مشكل

من لم يكن صومه متقرباً

بك للاله فصومه لم يقبل

ومما قاله ابن الرومى عن شهر رمضان :

شهر الصيام مبارك

مـا لـم يكــن فــى شــهر آب

خفت العذاب فصمته

فوقعـت فــى نفــس العـذاب

فأكمل شاعر آخر قوله فقال :

اليوم فيـــه كأنـــه

من طوله يوم الحساب

ويقول شاعر آخر مبشراً الصائمين بالفوز برضوان الله عز وجل :

ياصائمى رمضان فوزوا بالمنى
وتحققوا نيل السعادة والغنى
وثقوا بوعد الله إذ فيه الهنا
أوليس هذا القول قول إلهنا
الصوم لى وأنا الذى أجزى به
من صام نال الفوز من رب العلا
وبوجهه أضحى عليه مقبلاً
يا من يروم توسلاً وتوصلاً
صم رغبة فى قول رب قد علا
الصوم لى وأنا الذى أجزى به

ويقول شاعر آخر فى مضمون هذا المعنى :

معشر الصوام يابشراكمو

ربكم بالصوم قد هناكمو

وجوار البيت قد أعطاكمو

فافعلوا أفعال أرباب الصلاح

اشربوا عجلى فقد جاء الصباح

أيها النوام قوموا للفلاح

واذكروا الله الذى أجرى الرياح

إن جيش الليل قد ولى ولاح

وتدانى عسكر الصبح ولاح

اشربوا عجلى فقد جاء الصباح

فانـوس رمضـــــان

هذا وقد حفل الشعراء بفانوس السحور فهذا أبـو الحجـاج يوسف بـن علـى يصــف جمــال الفانوس فيقول :

ونجم من الفانوس يشرق ضوؤه
ولكنه دون الكواكب لا يسرى
ولم أر نجما قط قبل طلوعه
إذا غاب يهنى الصائمين عن الفطر

ثم أضاف منشداً :

هذا لواء سحور يستضاء به
وعسكر الشهب فى الظلمات جرار

والصائمون جميعاً يهتدون به

كأنه علم في رأسه نار

كما أنشد الفقيه أبو محمد القلعي واصفاً الفانوس بالكوكب ، يقول :

وكوكب من جرام الزند مطلعه

تسري النجوم ولا يسري إذا رقبا

يراقب الصبح خوفاً أن يفاجئه

فإن بدا طالعاً في أفقه غربا

كأنه عاشق وافى على شرف

يرعى الحبيب فإن لاح الرقيب خبا

كما أنشد ابن ظافر في وصف جمال الفانوس فقال :

ألست ترى شخص المنار وعوده

عليــــه لفـــانوس الســحور لهيــب

كحامل منظوم الأنابيب أسمر

عليـــه ســـنان بالدمـــاء خصيـــب

ترى بين زهر الزهر منه شقيقة

لهـا العـود غصـــن والمنـــار كثيـب

وتبدو كخد أحمر والدجى لما

بـــدا فيـــه ثغــر للنجـــوم شـــنيب

كأن لزنجي الدجى من لهيبه

ومـــن خفقـــه قلبـــاً عـــراه وجيـــب

تراه يراعي الصبح ليلاً فإن دنا

طلوع صباح حان منه غروب

فهل كان يرعاها لعشق ففرّ إذ

دری أن رومـــيّ الصبـــاح قريـــب

ثم اختصر هذه الأبيات فقال :

انظر إلى المنـــــار والفانوس فيه يرفع

كحـامل رمـــح سـنا نـه خضيـب يلمـع

كما قال أيضاً :

وليلة صوم قد سهرت بجنحها

على أنها من طولها تعـدل الدهـرا

حكى الليل فيها سقف ساجٍ مسمراً

من الشهب قد أضحت مساميره تبرا

وقام المنار المشرق اللون حاملاً

لفانوسه والليل قد أظهر الزهرا

كما قام رومى بكأس مدامة

وحيا بها زنجية وشحت درا

كما أنشد ابن نفطويه فى وصف فانوس السحور فقال :

نصبوا لواء للسحور وأوقدوا

فى رأسه ناراً لمن يترصد

فكأنه سبابة قد قمعت

ذهباً وقامت فى الدجى تتشهد

ومن طريف ما قاله القاضى أبو الحسن بن النبيه فى وصف الفانوس قوله :

حبذا فى الصيام مئذنة الجا

مع والليل مسبل أذياله

خلتها والفانــوس إذ رفعتــه

صــــائداً واقفـــاً لصيـــد الغزالـــة

ولقد سمع الشاعر أبو العز مظفر الأعمى كل هذه المقاطع الشعرية فـانقدت قريحتـه بجـذوة الوصف فقال:

أرى علماً للناس فى الصوم ينصب

على جامع ابن العـاص أعـلاه كوكب

وما هو فى الظلماء إلا كأنه

علــى رمــح زنجـــى ســنان مذهــب

ومن عجب أن الثريا سماؤها

مــع الليــل تلهــى كـل مـــن يــترقب

فطـــوراً تحييـــه بباقـة نرجس

وطـــورا يحييهـــا بكـــأس تلهـــب

وما الليل إلا قانص لغزالة

بفـــانوس نـــار نحوهـــا يتطلـــب

ولم أر صياداً على البعد قبله

إذا قربـــت منـــه الغزالـــة يهـــرب

* * * *

الكنافة والقطائف والحلوى

ويكثر المسلمون فى هذا الشهر من أكل الحلوى والبقلاوة والكنافة والقطائف والمشبك فها هو أبو القاسم عبد الرحمن بن هبة الله المصرى ينشد واصفاً القطائف فيقول :

وافى الصيام فواقتنا قطائفه

كما تسنمت الكثبان من كثب

ثم يصف عظمة هذه القطائف ، حيث أنها جاءت بديلاً عن شرب الخمر فيقول :

أهلاً بشهر غدا فيه لنا خلف

أكل القطائف عن شرب ابنة العنب

من كل ملفوفة بيض إلى أخر

حمر من القلى تشفى جنة السغب

وهذا ابن الوردى ينشد فى القطائف فيقول :

بعثت قطائفاً روى حشاها قطرها الغامر

فسكرها أبو ذر ومرسل صحنها جابر

وهذا أبو الصلاح الصفدى ينشد اعجابه بالقطائف فيقول :

أتانى صحن من قطائفك التى

غدت وهى روض قد تنبت بالقطر

ولاغرو إن صدقت حلو حديثها

وسكرها يرويه لى عن أبى ذر

وهذا بن نباته المصرى يقول واصفاً القطائف :

وقطايف رقت جسوماً مثل ما
غلظت قلوباً فهى لى أحساب
تحلو فما تغلو ويشهد قطرها الـ
فياض أن ندى علىّ سحاب

وهذا ابن المنشد يقول واصفاً القطائف :

وقطائف مثل البدور   أتت لنا من غير وعد
فحسبتها لما بـدت   فى صحنها أقراص شهد

وفـى وصـف القطـائف أيضـاً أنشـد المعلـم المرصص قائلاً :

وحقك ما أوليتنى من قطائف
ألذ وأحلى من وصال القطائف

وقد ضمنت مثل العتاب حلاوة

ألـــم ترهـــا ملفوفـــة كالصحـــائف

أما الكنافة فقد قال فيها الشاعر أبو الحسن الجزار مخاطباً شرف الدين الفائزى قولا لم أسمعه من غيره يقول :

أيا شرف الدين الذى فيض جوده

براحتـه قـد أخجـل الغيـث والبحـرا

لئن أمحلت أرض الكنافة اننى

لأرجو لها من سحب راحتك القطرا

فعجل به جوداً فمالى حاجة

سـواه نباتـاً يثمـر الحمـد والشـكرا

وهذا ابن نباته المصرى يصف الكنافة بعد أن أهدت إليه فيقول :

يا سيدى جاءتك فى صدرها
كأنهـا روحــى فــى صــدرى
كنافة بالحلو موعودة
كمـا تقـول العسـل المصــرى
قد خنقتنى عبرتى كأسمها
وبـادرت مـن خلفهـا تجــرى
ما خرج الفستق من قشره
فيها وقد أخرجت من قشرى
ونشرها من طيبها لم يفح
فأعجب لسوء الطى والنشر

فهاك حلوا قد تكفلته

ولا تسل عنى وعن صبرى

كأنها الدمية لكنها

لا نفحــة العطــر ولا القطــر

لازلت فى الدهر كما تبتغى

وفوق مــا تبغـى مـن الدهـر

وهذا سعد الدين بن العربى ينشد للقطائف والكنافة معاً فيقول :

وقطائف مقرونة بكنافة

من فوقهن السكر المنذور

هاتيك تطربنى بنظم رائق

ويروقنى من هذه المنثور

كما أن للعلامة جلال الدين السيوطى رسالة طريفة عنوانها " منهل اللطايف فى الكنافة والقطايف " .

كما أن هناك أنواعاً أخرى من الحلوى يكلف بها المسلمون فى شهر رمضان ، وقد تصادف أن ارتفعت أثمانها عام ٩١٧ هـ فرفعت شكوى منظومة إلى المحتسب تعدد أنواع هذه الحلوى .

وفى هذا قال شاعرهم :

لقد جاد بالبركات فضل زماننا

بأنواع حلوى نشرها يتضوع

حكتها شفاه الغانيات حلاوة

ألـم ترنـى مـــن طعمهــا لســت أشــبعِ

فلاعيب فيها غير أن محبها

يبـــــدد فيهــــا مالـــــه ويضيّــــــع

فكم ست حسن مع أصابع زينب

بهـا كـل مــا تهـوى النفـوس مجمّــع

وكم كحكة تحكى أساور فضة

وكـم عقـدت حلـت بهـا البسـط أجمــع

وكم قد حلا فى مصر من قاهرية

كـذاك المشبك ، وصلـه ليــس يقطــع

وفى ثوبه المنقوش جاء برونق

فياحبذا أنواره حين تسطع

وقد صرت في وصف القطائف

هائماً تراني لأبواب الكنافة أقرع

فيا قاضياً بالله محتسباً عسى

ترخّص لنا الحلوى نطيب ونرتع

فلما قرأ المحتسب هذه القصيدة أمر بتخفيض سعر الحلوى .

كحـــك العيـــد

هذا وقد عرف الكحك (الكعك) منذ مجئ الدولة الأخشيدية ، حيث يؤثر عن الوزير أبى بكر محمد بن على المادرائى أنه صنع كحكا حشاه بالدنانير الذهبية وأطلقوا عليه وقتئذ اسم (افطن له) [1] .

كما أشتهر الفاطميون بعدهم بعمل الكحك ، وكانوا يصنعونه فى القصور الأيوبية ، ومما اشتهرت بعمل الكحك طباخة تدعى حافظة فسمى (كعك حافظة) .

ومما كتبه الشاعر أبو الحسن الجزار فى وصف الكحك وحلويات العيد ، رسالة إلى الأمير جمال الدين بن منصور يقول فيها منشداً :

أيهذا الأمير قد أشكل المعنى
ومازلت عارفاً بالمعانى
ظاهر البستندود لم أدر ماذا
فيه حملاً وباطن الخُشكنان
أترانى فى العيد أجهل ذا المعنى
كجهل الحلواء فى رمضان

هذا ولقد استمرت مصر معنية بعمل الكحك وتوزيعه كصدقة على الفقراء حتى لا يحرموا منه

كما كانوا يأكلون السمك المملح (الفسيخ) فى الأعياد ، وهلال شوال ، وكذلك فى الاحتفال بعيد الفطر المبارك

هذا ولم يغفل الشعراء هلال شوال فى نهاية شهر رمضان ومجئ عيد الفطر ، فها هو الشاعر بن قلاقس يقول واصفاً هلال شوال :

هلال شوال يقول مصدقاً
بيدى غصبت النون من رمضان

كذلك رأينا الشاعر عمارة اليمنى ينشد واصفاً هلال شوال وفرحته بمجئ عيد الفطر فيقول :

وهنئت من شهر الصيام بزائر
مناه لو أن الشهر عندك أشهر

وهكذا وجدنا الأدب العربى يصف رمضان وما كان فيه من عبادات وتقاليد دون اغفاء لحدث ودون ترك صغيرة أو كبيرة الا وعدّها ، ولم لا فالشعر مرآة المجتمع ، يصور أحداثه ويؤرخ لماضيه ، ويستشرف المستقبل لذا استحق أن يسمى ديوان العرب .

الفهرس

م	الموضـــــوع	رقم الصفحة
١	تقديـــم	٤
٢	رمضان فى الأدب المصرى	٥
٣	فانوس رمضان	١١
٤	الكنافة والقطائف	١٨
٥	كحك العيد	٢٧

رقم الإيداع	١٨٥٩ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى	977-17-0705 I.S.B.N